الجوسسة الأوروبية في الجزائر
خلال العهد العثماني

الطالب بخاخ سعدون
جامعة أبي بكر بلقايد
- تلمسان-

مقدمة:

عرف فضاء البحر الأبيض المتوسط في نهايات القرن 15 وبدايات القرن 16 الميلاديين تحولات هامة كان لها بالغ الأثر على الخريطة السياسية للدول المطلة على البحر المتوسط والجزائر من بينها، لعل من أبرز هذه التحولات هي سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، بداية حروب الاسترداد وملاحقة المسلمين الفارين من بطش محاكم التفتيش، انطلاق الكشوفات الجغرافية الأوروبية، وانضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية.

لقد كان البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة المشار إليها مجالا لتجدد الصراع والصدام بين الشرق والغرب، وإذا أردنا تحديد أطراف الصراع بصورة أدق، نجد أن الدول والممالك الأوروبية مثلت الغرب تحت وصاية الكنيسة والبابوية، في حين مثلت الجزائر الشرق تحت راية الخلافة العثمانية وتحت شرعية الجهاد.

استمر الصراع بين الدول الأوروبية والجزائر على امتداد العصر الحديث، أين حاولت الدول الأوروبية تحطيم مدينة الجزائر وإخضاعها ومن ثم التوسع نحو الداخل، لكن كل مخططاتها ومحاولاتها باءت بالفشل، لتأخذ مدينة الجزائر لقب الجزائر المحروسة وتنسج حولها الأساطير. إن هذا الفشل شكل تجاربا وتراكمات للدول الأوروبية من جهة، وجعلها تبحث عن استراتيجيات وبدائل من جهة أخرى.

ولعل من أبرز هذه الاستراتيجيات نجد الجوسسة التي شكلت إحدى أهم المظاهر المرتبطة بالصراع السياسي والعسكري في الجزائر مع الدول الأوروبية خلال العهد العثماني، فمن خلال بعض النصوص التاريخية التي اطلعنا عليها استطعنا رصد هذه الظاهرة،كما أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين: جوسسة محلية وظفها الأوروبيون لصالحهم على حساب السلطة العثمانية، قامت بها أطراف داخلية بناء على ظروف معينة ورغبة في تحقيق مصالحها الشخصية، وجوسسة أوروبية محضة انطلاقا من الصراع والتنافس في الحوض المتوسط بين الدول الأوروبية والجزائر العثمانية.

إن النصوص والإشارات التي وقفنا عليها في هذا الجانب نسعى من خلالها إلى ذكر أشهر الجواسيس سواء كانوا على المستوى المحلي أفرادا وجماعات وما تبلور من مواقف تجاههم، أو جواسيس أوروبيين وأهم ما قاموا به من أعمال وأنجزوه من تقارير، وما ترتب عن جوسستهم من آثار وانعكاسات.

1- الجوسسة المحلية على حساب السلطة العثمانية

تعتبر هذه الصورة من الجوسسة مثالا لصراع القوى المحلية مع الأتراك وميلهم للطرف الأوروبي خاصة الإسباني منه على اعتبار أن الإسبان ظلوا في الجزائر إلى غاية التحرير النهائي لوهران عام 1792م، وهو الصراع الذي أطلق عليه أحمد توفيق المدني في كتابه حرب 300 سنة بين الجزائر واسبانيا[1].

إن تعامل أفراد وجماعات محلية مع الإسبان كان من منطلق تفضيل المصالح الشخصية وحب البقاء في الزعامة لأن الأتراك في نظر هؤلاء يهددون زعامتهم، كما كان من منطلق الضعف، سواء ضعف الإيمان التي أشارت

1 أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

إليه بعض الكتابات المحلية على غرار ما أورده عبد القادر المشرفي[1] وتلميذه أبو راس الناصري[2]، أو الضعف المادي الذي ترتب عنه الخضوع والولاء للإسبان بعد فقدان بعض القبائل لممتلكاتها وما تعرضت له من نهب وقتل، وسنأتي على ذكر أمثلة لنوضح ما قلناه.

لقد استعان الإسبان في حملتهم على مدينة وهران عام 1509م بأحد الجواسيس اليهود المدعو سطورا هذا الأخير رفقة أعوانه اتصل بهم حاكم المرسى الكبير واستطاع شراء ذممهم إذ قاموا بفتح باب مدينة وهران وتم الاستيلاء عليها بعد مجازر وحشية[3]، وعقب احتلال الإسبان لوهران عام 1510م باشر هؤلاء في مدّ نفوذهم إلى الداخل حيث رأت القبائل القاطنة في ضواحي وهران أن وضعها أصبح سيئا بموت أهاليهم وفقدانهم لأراضيهم ولهذا قرّروا طلب الأمان وإعلان الولاء[4]، كما اضطر شيوخ مدينة مستغانم إلى توقيع معاهدة استسلام عام 1511م، حيث يلتزم بموجبها سكان المدينة

---

1 هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أبي جلال المشرفي الغريسي، عرف بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، من علماء عصره اشتهر بالفقه والأدب، للاطلاع أكثر حول شخصيته انظر:

- ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1999م، ص 412.

2 هو العلامة الحافظ أبو راس الناصري الذي اشتهر بغزارة علمه، كانت له رحلات إلى المشرق والمغرب، شغل مناصب الإفتاء والقضاء والتدريس عرف بكثرة مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون، للإطلاع أكثر جول حياته أنظر:

- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص- ص 376- 381.

3 شوقي عبد الكريم: **الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 1492-1830**، ط1، دار هومة، الجزائر، 2017، ص-ص 124- 125.

4 عبد القادر فكاير: **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910هـ/1206هـ-1505م/1792م)**، دط، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 334.

بخدمة الملك بكلّ وفاء، وأن يزوّدوا مدينة وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية والسلع الأخرى[1].

بعد استقرار عروج بمدينة الجزائر عام922هـ/1516م أرسل إلى أخيه خير الدين رسالة يطلب منه فيها أن يتوجه إلى مدينة جيجل، وقد لبّى خير الدين طلب أخيه وأعلمه هو الآخر برسالة مفادها قدومه إلى مدينة جيجل ليرسل له عروج رسالة من جديد جاء فيها "...**أن في ناحية جيجل شيخا مقدّما على طائفة البربر هو عين للنصارى على المسلمين وجاسوس لهم يمدّهم كل سنة بسبعة آلاف دينار وألف مكيال من البُر وألف شاة وسبعمائة من البقر، وأربعة عشر فرسا بسلاحها**..."[2]، وقد نقل ابن رقية التلمساني هذا النص وأورده في مؤلفه الزهرة النائرة [3].

إنّ هذه الرسالة توضح لنا حجم الإمدادات التي كان يمدها شيخ هذه القبيلة للنصارى، ولا شك أنهم الإسبان بحكم القرب الجغرافي لمدينة جيجل من بجاية التي احتلّها الإسبان عام 1510م، لكنّ عروج لم يذكر لنا اسم شيخ القبيلة ولا حتى اسم القبيلة الخاضعة له، ولعلّ هذا بحكم تواجد عروج في مدينة الجزائر والأخبار التي وصلته كان من أتباعه هناك، فضلا عن هذا فعروج حديث عهد بالجزائر ولم يكن يعرف جغرافية الجزائر جيّدا.

---

1 **نفسه**، ص- ص 60-61.

2 محمد لعباسي: **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط " خبر قدوم عروج رايس وأخيه خير الدين إلى الجزائر من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953هـ/1546م لمؤلف مجهول** "، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2005-2006، ص- ص 60-61.

3محمد ابن رقية التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تحقيق: خير الدين سعيدي، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 92.

لم تكن تلمسان هي الأخرى تعرف استقرار سياسيا فاختلاف أمرائها على الحكم جعلها عرضة للتحرشات الإسبانية، وقد ساءت أمورها أكثر بعد موالاة السلطان أبو حمو الثالث للإسبان[1]، الأمر الذي دفع أهالي تلمسان إلى الاستنجاد بعروج الذي لبّى طلبهم، وفي طريقه إلى تلمسان نصّب حامية في قلعة بني راشد وجعل على رأسها أخوه إسحاق، لقد تمكن عروج من طرد أبو حمو الثالث من تلمسان، لكن هذا الأخير فرّ إلى ناحية وهران وجمع حوله بعض القبائل الموالية له واستطاع أن يقتل إسحاق في قلعة بني راشد[2]، لقد أورد صاحب الزهرة النائرة تفاصيل هذه الواقعة، حيث يخبرنا عن تحالف أبو حمو الثالث مع القبائل ومع الإسبان، كما يخبرنا بأنّ الجواسيس هم من أطلعوا أبو حمو الثالث على موعد خروج إسحاق ومن معه للهجوم عليهم، فقام أبو حمو ومن معه بتنصيب المدافع تجاههم وما أن خرج إسحاق حتى رموه بالمدافع واستشهد منهم خلق كثير[3].

إنّ ما أوردناه لغاية الآن من نماذج للجوسسة كان قبل إلحاق الجزائر بالباب العالي مما يعني أنّ الساحة السياسية آنذاك كانت جد مضطربة وطريق عروج وخير الدين لم تكن سهلة فقد كانا يقاتلان على جبهتين، ومن انعكاسات الجوسسة والمؤامرات عليهما، هو استشهاد أخوهم إسحاق ومن بعده عروج.

لقد استمرت هذه الظاهرة بعد إلحاق الجزائر بالباب العالي فقد كان الإسبان يستعينون كثيرا بالأهالي لالتقاط الاستعلامات ففي إحدى الرسائل وجه **الكونت ألكوديت** عامل وهران إلى أحد عملاء الإسبان في الجزائر يطلب

---

1 حكم ما بين 1515- 1528.

2 يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**،ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص- ص 14-15.

3محمد ابن رقية التلمساني: **المصدر السابق**، ص96.

منه "... **وأخبروني بكلّ ما تجمعونه من الأخبار من جواسيسكم هل السكان راضون عن خير الدين أو ساخطون عليه؟ وهل المدينة مزوّدة بعدد من الأتراك والمدافع الكافية؟... وحاصله بكلّ ما ترونه مفيدا لنا لتعينونا على طرد ذلك الطاغية من البلاد وكونوا متيقنين أنّ جلالة الملك سيعمل لكم بعون الله الحظ الذي تستحقّه شخصيتكم المحترمة**..."[1]، لقد أورد الأستاذ بن اشنهو أن تاريخ هذه الرسالة هو عام 1536م لكن كما هو معلوم أنّ خير الدين كان قد غادر البلاد عام 1535م مستخلفا حسن آغا، وهذا بعد أن استدعاه الباب العالي[2]. فربما يكون الأستاذ قد أخطأ التقدير.

لم تقتصر جوسسة الإسبان على مدينة وهران فحسب، بل وصلت إلى غاية مدينة الجزائر عن طريق جواسيسها، ولعل أشهرهم هو بن عودة الذي حدثنا عنه ابن المفتي في تقييداته، ففي عهد البايلرباي علج علي[3] تم الإطاحة بهذا الجاسوس الذي كان يوافي الإسبان بكل التفاصيل الواقعة في مدينة الجزائر سواء في الشأن السياسي أو الوضع الاجتماعي، وقد كان مصير هذا الجاسوس الموت حيث أمر العلج علي برميه في صندوق البناء ومواصلة التعمير جزاء على خيانته[4].

1- عبد الحميد بن أشنهو: **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، دط، الجزائر، 1972، ص 108.

2 يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 18.

3-العلج علي **1569- 1572م** من أشهر البايليربايات الذين حكموا إيالة الجزائر وارتبط اسمه كثيرا بمعركة ليبانتو عام 1571م، للاطلاع أكثر انظر:

- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1996م، ص- ص 186- 191.

4- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع واعتناء: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 24.

وفي عهد الداي **ميزومورطو**[1] وتحديدا سنة 1684م يخبرنا صاحب الزهرة النيرة عن قدوم الفرنسيين إلى الجزائر من أجل تسوية الخلاف الذي كان بين البلدين بسبب الحملة التي شنها الفرنسيون على المدينة سنة 1683م على عهد الداي **بابا حسن**[2]، لقد كان الداي ميزومورطو رافضا لتوقيع هذا الصلح في بادئ الأمر لكنه لجأ إلى الصلح بعد مراودة بعض الأعوان له الذين تحصلوا على هدايا من قائد الحملة الفرنسية[3]، يحدثنا صاحب الزهرة النيرة عن هؤلاء الجواسيس والأعوان دون أن يحددهم كأشخاص بأسمائهم، أو كموظفين داخل الإدارة المركزية في دار السلطان ما داموا قريبين من شخصية الداي.

غير أنّه من أشهر نماذج الجوسسة المحلية في الجزائر لصالح النصارى هي قبائل بني عامر التي كانت خير معين للإسبان في مدينة وهران وما جاورها من القرى والقبائل، الأمر الذي ما ساعدهم على تعزيز نفوذهم في هذه المناطق.

من بين أهم المصادر التي تعرفنا على أهم هذه القبائل و المساعدات التي قدمتها للإسبان هي تلك الرسالة التي ألفها **الشيخ عبد القادر المشرفي** والموسومة بـ" **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر** " لقد ذكر الشيخ عبد القادر المشرفي 8 قبائل متعاونة مع الإسبان على النحو التالي:

---

1 حكم ما بين 1683- 1689.

2 حكم ما بين 1681- 1683.

3محمد ابن رقية التلمساني: **المصدر السابق**، ص 132.

القبيلة	النسبة	النطاق الجغرافي
كرتشل	كرتشل بن محمد بن راشد	الشلف- مستغانم- باريقو.
شافع	شافع بن عامر بن زغبة الهلالي	وهران.
حميان	حميان بن عقبة بن يزيد...الهلالي	وهران.
غمرة (6 دواوير)		الحفرة (نواحي وهران).
قيزة (73 دوارا)	قيزة بن ابراهيم بن زغبة الهلالي	تارغة- تامزوغة.
أولاد عبد الله (60 دوارا)	عبد الله بن سقير...بن زغبة الهلالي	ملّاتة.
أولاد علي (70 دوارا)	علي بن عامر...بن زغبة الهلالي	الثنية.
الونازرة (6 دواوير)	ونزار بن عبدالله...بن زغبة الهلالي.	واد سنان- هيدور- تارغة.[1]

ويخبرنا عبد القادر المشرفي عن حجم المساعدات التي قدمتها هذه القبائل للإسبان في قوله "...**لمّا استقل قدم الإسبانيين بوهران انحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف إيمانهم فصاروا خدما لهم ومن جملة**

1- عبد القادر المشرفي: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر**،تحقيق: محمد بن عبد الكريم، دار الوعي ط1، 2017م، ص- ص 13- 33.

جيوشهم وكَثُرَ بهم السواد على المسلمين، فكانوا عليهم أعوانا، فشنّوا بهم الغارات، وانتفعوا بهم فيما يحتاجونه من الدّواب والأقوات..."[1]

هذا وقد أوضح الشيخ عبد القادر المشرفي الحكم الشرعي تجاه هذه القبائل وهو إباحة دمهم ومالهم لكفرهم حيث يقول... **فكانوا عيون العدو الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين...وهذا فعل الأعداء المرتدين...كيف يكون مسلما من لا غيرة له على الإسلام**...ويقول أيضا...**والحكم فيها أنها فرقة الزنادقة يقتل كل من اطلع عليه منها**...[2]، تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الحكم الشرعي الذي يستوجب قتل هؤلاء المتعاونين في حالة عدم توبتهم لم يكن موقف الشيخ عبد القادر المشرفي وحده، بل نجد تلميذه وهو **الشيخ أبو راس الناصري** هو الآخر يتبنى نفس الحكم في مؤلفه **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، وهذا في معرض حديثه عن محاولات فتح وهران السابقة عن المواجهة التي كانت بين هذه القبائل، ومن بينها محاولة الباي شعبان الذي خرج لمحاربة هذه القبائل في عام 1098هـ/1687م حيث يقول أبو راس الناصري..."**زحف الباي شعبان إلى وهران في نحو أربعة آلاف فارس وزحف إليه الكفرة من وهران مع مردة العرب من بني عامر وقيزة ونحوهم من أزيد ثمانية آلاف فيهم ألف خيل وفي تلك المعركة قتل الباي رحمه الله**..."[3]

2/ الجوسسة اليهودية لصالح الدول الأوروبية

كان اليهود المصدر الأساسي لتسريب المعلومات حول شؤون الإيالة السياسية والاقتصادية وعن القرصنة لصالح السلطات الرسمية والقناصل الأجانب، إمّا عن طريق الرواية الشفوية وإمّا عن طريق الرسائل[4]. كما ثمّنت

1- عبد القادر المشرفي: **المصدر السابق**، ص 13.

2 -**نفسه**، ص 32.

3- أبو راس الناصري: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج1، تحقيق: محمد غالم، دط، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص- ص145-146.

4- كمال بن صحراوي: **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات**، رسالة ماجيستير، جامعة معسكر، 2007-2008م، ص 85.

فرنسا جهود اليهود خلال سنوات القطيعة الجزائرية- الفرنسية بسبب حملة فرنسا عام 1798م على مصر، حيث قدّموا إليها معلومات دقيقة تمس جميع شؤون الإيالة سواء عن طريق عناصر يهودية أو بواسطة أفراد من القنصليات الاسبانية- السويدية- الهولندية- الدانماركية...[1].

3- الجوسسة الأوروبية على الجزائر العثمانية

تأتي هذه الجوسسة كنتيجة لصراع الجزائر العثمانية مع الدول الأوربية على ضفة المتوسط وإخفاق الحملات الأوروبية الهادفة لإسقاط مدينة الجزائر التي أطلق عليها " **الجزائر المحروسة** "، الأمر الذي فرض عليهم معرفة كل ما يتعلق بها لتفادي الأخطاء ولإنجاح حملاتهم الهادفة لإسقاط الجزائر، حيث وظفت الدول الأوروبية جواسيس لها في صورة قناصل ومبعوثين دبلوماسيين، ورجال دين، وتجار ورحّالة...، لقد كانت الدول الأوروبية دوما ما توظف لهذا الغرض رجال شجعان وأذكياء يتميزون ببرودة الأعصاب لالتقاط كل الأخبار[2]، وبما أن أعداد هؤلاء الجواسيس كثيرة فإننا سنركز على نماذج منها.

إن مشاريع الجوسسة الأوروبية على الجزائر تعود الى أواخر القرن 15 الميلادي، وعلى رأسها الجوسسة الاسبانية تحديدا في عهد الملكة إيزابيلا التي كلفت **لورنثو دي باديا** عام 1493 بمهمة استطلاعية في مدينة تلمسان وضواحيها، حيث تنكر هذا الأخير في زيّ تاجر واستطاع أن يجمع معلومات عن الأوضاع في تلمسان ومما أورده في تقريره "...**إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة**..."[3]، إنّ هذه العبارة تجعلنا ندرك

---

1 -**نفسه**، ص 85.

2 -Moulay Belhamissi: **Alger,L'Europe et la guerre secrète 1518-1830**, Edition Anep, 2009, p 49.

3- جون وولف: **الجزائر وأوروبا 1500-1830**، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، المدرسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 24.

حالة الوهن والتشتت السياسي في تلمسان خلال هذه الفترة، كما أنّ هذه العبارة فيها دعوة لاستغلال هذه الحالة والقيام بحملة على مدينة تلمسان.

خلال ثلاثينيات القرن السادس عشر نجد أحد الجواسيس الإسبان يرسل رسالة إلى الإمبراطور شارلكان في عام 1535م يخبره فيها بأهمية مدينة عنابة وضرورة احتلالها، وهو ما تم بالفعل فقد تم احتلال المدينة في نفس العام ومكث الإسبان بها إلى غاية عام 1540م أين تمّ طردهم منها[1].

لقد كان لإقامة قساوسة الدين في الجزائر مدّة من الزمن وتعاملهم مع شرائح اجتماعية حاكمة ومحكومة دور في تقصي الأوضاع والتعرف على نقاط القوة والضعف داخل الإيالة الجزائرية كما تعرّفوا أيضا على عادات وتقاليد المجتمع، ومن هؤلاء **الأب دان**[2] المتشبع بروح العداء الديني الذي كان يسعى من خلال تقديم تفاصيل حول الجزائر إلى تحفيز الأوروبيين على شن حملاتهم ضدّها، مبرزا نقاط الضعف وهذا من أجل إنجاح الحملات[3].

هذا وقد أشار الأستاذ مولاي بلحميسي إلى أن الغرفة التجارية بمرسيليا كانت تنفق الكثير لمعرفة كل ما يحدث في الجزائر، حيث توجد آلاف الوثائق زودها بها مختلف القناصل والجواسيس والتي تصور الحياة السياسية والاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني، ففي رسالة أرسلها القنصل الفرنسي لوميير إلى نواب الغرفة التجارية بمرسيليا نجد يقول "...**سأجعل دوما نصب عيني إحدى النقاط الأساسية للواجب أن أطلعكم على كل مفيد يحدث هنا، ولا أنسى أن أمن تجارة مرسيليا وملاحتها يشترط هذه اليقظة من طرفي، وقد بعثت للسيد بينيون أخيرا قائمة القوات البحرية الحالية للجزائر وقائمة تتعلق بالغنائم التي وصلت هنا منذ**

---

1 -عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص- ص 53-54.

2-راهب فرنسي من أعضاء منظمة الثالوث المقدس لافتداء الأسرى، قدم إلى الجزائر سنة 1634، حيث ساعده هذا القدوم على تأليف كتابه: histoire de barbarie et de ces corsaires

3- حفيظة خشمون: **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006-2007م، ص 117.

وصولي الى أخر السنة..."[1]، وفي رسالة أخرى لنفس القنصل وجهها إلى حكومته عام 1690م يقول فيها " **رسالتي هذه لأخبركم عن أوضاع الجزائر ولم أضيع فرصة واحدة في تقصي الأخبار ...وذلك لخدمتكم**..."[2]، لقد كان كان الجواسيس يقترحون النقاط الإستراتيجية لإنزال الحملات مع توقع نجاحها لمعرفتهم بأوضاع المنطقة، فهذا الأسير تيدنا الذي كان وزيرا لباي معسكر محمد الكبير قدم مذكرة عام 1802 الى السلطات الفرنسية يقترح فيها الإبحار نحو منطقة تنس لأنها ضعيفة التحصينات، ومن ثم التوجه إلى الجزائر بالاتفاق مع الأسطول البحري[3].

كما سبقت الإشارة فإن فشل الدول الأوروبية في إسقاط مدينة الجزائر في كثير من المحاولات جعلهم يبحثون عن حلول تحول بينهم وبين هذا الفشل، ويعد توظيف الجواسيس أحد أهم الاستراتيجيات التي اتخذتها الدول الأوروبية ليسهل عليها اختراق الجزائر بعد معرفة كل ما يتعلق بشؤونها، ويبرز لنا هذا الجدول بعض الجواسيس من جنسيات مختلفة اقترحوا على بلدانهم مواطن إنزال الحملات العسكرية:

اسم الجاسوس	بلده	التاريخ	مكان إنزال الحملة
لانفردوسكي- بوسيو	مالطة	1587م	
دارفيو	البرتغال		بجاية
كليرفيل	فرنسا	1661	سطورة
ريكو	اسبانيا	1757	واد الحراش
باسكولي	ايطاليا		عنابة

1-مولاي بلحميسي:**جانب من الصراع الجزائري الأوروبي – الجوسسة الغربية في الجزائر العثمانية**-،مجلة الباحث، العدد3، المطبعة المركزية للجيش، 1985، ص-ص 17- 19.

2-رحمونة بليل: **القناصل والقنصليات في الجزائر العثمانية 1564-1830**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011-2012م، ص 171.

3- حميدة عميراوي: **مذكرات تيدنا مصدر نادر في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، العثماني**، مقال ضمن كتاب **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 33.

دومنقو باديا	اسبانيا	1803	
بوتان	فرنسا	1808	سيدي فرج.[1]

لعل من أشهر الجواسيس الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة هو الجاسوس بوتان الذي قدم الجزائر عام 1808م، فخلال هذه الفترة كانت العلاقات الفرنسية–الجزائرية تعرف اضطرابا وتوترا أين كان **الباشا أحمد**[2] دايا على الجزائر، في حين كان **نابوليون** ملكا على فرنسا، هذا الأخير الذي كلف وزير بحريته باختيار جاسوس نشط يحصل على معلومات تتعلق بالشأن الداخلي للجزائر، وقد وقع الاختيار على بوتان.

وصل الجاسوس بوتان إلى مدينة الجزائر في 24 ماي 1808، وظل متنقلا من برج البحري شرقا إلى سيدي فرج غربا، وبعد إتمامه للتقرير الذي أعده مبديا ملاحظاته عاد إلى فرنسا في 17 جويلية من العام نفسه[3] لقد ضم هذا التقرير معلومات دقيقة وهامة عن الجزائر سهلت للفرنسيين احتلالها، ومن أهم ما جاء في هذا التقرير نذكر:

- وصف مدينة الجزائر ونواحيها.
- المقدرات العسكرية للجزائر في حالة السلم والحرب. وتحصيناتها المدفعية
- وضعية البحرية الجزائرية.
- اختيار وقت خروج الحملة الفرنسية ومكان إنزالها[4].

لم يكن الجاسوس بوتان وحده الذي اقترح إنزال الحملة الفرنسية في سيدي فرج، فهذا ويليام شالر القنصل الأمريكي في الجزائر (1816-1824) أشار إلى ضرورة الإنزال في سيدي فرج كونها ضعيفة التحصينات كما انه عقب على إنزال الحملات السابقة في الجهة الشرقية لميناء الجزائر التي تعتبر

---

1 -يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص- ص 205-206.

2 -حكم ما بين (1805-1808) خلفا للداي مصطفى باشا (1798-1805)

3- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص- ص17-18.

4-Moulaiy Belhamissi: **ibid**, p-p 206-207.

شديدة التحصينات واعتبره من الأخطاء الفادحة، إن الإنزال في سيدي فرج حسب ويليام شالر من شأنه أن يسهل الاستيلاء على قصر الداي، وبالتالي فالاستيلاء على القصر هو استيلاء على المدينة[1].

الخاتمة:

من خلال وقوفنا على بعض النصوص التاريخية التي ترصد نماذجا لظاهرة الجوسسة في الجزائر خلال العهد العثماني يتضح لنا مدى سعي الدول الأوروبية إلى توظيفها في صراعها مع الجزائر من أجل معرفة كل ما يتعلق بشؤونها الداخلية وبالتالي يسهل عليها احتلال المدينة، وهذا من خلال استغلال مختلف التقارير الصادرة عن الرحالة والتجار والقناصل ورجال الدين، ناهيك عن إرسال الجواسيس مباشرة، وبما أن هذا المقال هو إشارات مقتضبة فإن الدراسة الشاملة والمعمقة لموضوع الجوسسة الأوروبية مرهونة بالوثائق الأرشيفية سواء الموجودة في الغرفة التجارية بمرسيليا، أو في أرشيف وزارة الحربية بفانسان، ومن جهة أخرى يمكننا لفت الانتباه إلى الجوسسة الجزائرية على الدول الأوروبية كرد فعل وكإستراتيجية حربية، وهو موضوع يحتاج إلى البحث والتقصي، ومما يكمن ملاحظاته عن الجوسسة الأوروبية هو بروز الجوسسة الإسبانية واستمرارها إلى غاية استرجاع وهران أواخر القرن 18، لتبرز لنا الجوسسة الفرنسية تزامنا مع توتر العلاقات والتي من أسبابها قضية الديون.

إن ما ورد في البيان الذي نشره الفرنسيون عشية محاصرة مدينة الجزائر والمتضمن أن مجيء الفرنسيين إلى الجزائر الغرض منه تخليص الجزائريين من ظلم الأتراك، زيادة على اعتمادهم على المعلومات التي استقاها بوتان أثناء إقامته بالجزائر دليل على أن الفرنسيين قد لعبوا على هذه الورقة كثيرا، ليتمكنوا في الأخير من احتلال مدينة الجزائر.

---

1 -ويليام شالر: **مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، ترجمة: اسماعيل العربي، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص 74.